شرح مقدمة كشف الشبهات

أملاه خادم العلم وأهله العبد الفقير إلى ربه:

أحمد بن الحافظ الشنقيطي

عامله اللّه ووالديه ومشايخه بعفوه ولطفه وستره الجميل

www.im-madina.com ralmahdra@gmail.com https://t.me/ttasal

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ألف الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ﷺ هذا الكتاب لفئة خاصة من أهل العلم الذين كانوا في زمانه وكانت لديهم شبه تدور حول خمسة مسائل:

المسألة الأولى: حقيقة التوحيد الذي دعت إليه جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام.

المسألة الثانية: شبهة الوسطاء الذين بين الله وبين خلقه وهذه قد أبطلها الله ﷻ في مواطن كثيرة من كتابه.

المسألة الثالثة: الشفعاء، وأنهم في زعمهم لا يعبدونهم من دون الله، وإنما يسألونهم الشفاعة عند الله ﷻ، وهذه الشبهة قد أبطلها الله في مواضع كثيرة من كتابه وهناك آية تبطل أصل هذه الشبهة وتقتلعها من جذورها. قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة الزمر:٤٤]، فإن هذه الآية قد أحاطت بالشبهة من جميع جهاتها، فقد صرحت بأن الشفاعة لله وحده لا شريك له.

بدأت الآية الكريمة بأمر من الله ﷻ ﴿قُل لِّلَّهِ﴾ فيها التنصيص الواضح على أن هذا هو أمر الله الذي أمر به جميع الخلائق، وأما إبطالها للوسائل التي استحدثها المشركون فإن الله قد بين ذلك في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة الزمر:٤٤].

المسألة الرابعة: التوسل، وقد يكون توسل بدعي، كالتوسل بجاه النبي ﷺ أو بجاه الصالحين وقد يكون توسل شركي، كالتوسل بالأموات أن يقضوا حاجات العباد، وأما أهل السنة فيتوسلوا بالأعمال الصالحة، والدليل قصة الذين انطبقت عليهم الصخرة في الغار؛ فتوسلوا إلى الله ﷻ بخالص أعمالهم كما في الصحيحين[(١)].

(١) أخرجه البخاري ح(٢٢١٥)، ومسلم ح(٢٧٤٣).

أما طلب عمر بن الخطاب من العباس ﷺ أن يدعو لهم في صلاة الاستسقاء؛ فهو خاص به، لإنه لم يروى عن عمر أنه طلب من أحد غيره، وكذلك هو من جنس التوسل بالأعمال الصالحة [(١)]، والدليل على جواز طلب الدعاء من الأحياء القادرين قول النبي ﷺ لعمر أن يدعو له، وأيضاً وصية النبي ﷺ للصحابة إذا لقوا أويس القرني ﷺ [(٢)].

المسألة الخامسة: التبرك، وهو إما أن يكون حسي كالتبرك بذات النبي ﷺ فقط، أو معنوي كالتبرك بالأشياء التي نص عليها الدليل كالقرآن وماء زمزم.

❖ التبرك ينقسم إلى قسمين:

١- **تبرك من جنس الشرك الأكبر**: كاعتقاد أن في ذوات الأشياء بركة مستقلة من دون الله ﷻ كالنفع والضر.

٢- **تبرك من جنس الشرك الأصغر**: كاعتقاد أن بعض الأشياء أسباب في البركة مع الله ﷻ، أو جعل البركة في أشياء لم يجعل الشرع فيها بركة، كاعتقاد البركة في السجادة التي يصلى عليها.

فهذه الخمسة هي رؤوس شبه المشركين الأوائل و من سار على طريقتهم ممن أتى بعدهم.

وهذه المسائل الخمسة قد حصل فيها نزاعٌ طويلٌ ما بين الأنبياء وأممهم، وما بين العلماء الراسخين وغيرهم ممن أعمى الله بصائرهم كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الحج:٤٦]، وعلى مر التاريخ والعصور فإن الله قد ابتلى الدعاة الذين يدعون إلى التوحيد الصافي بأُناس أصحاب شوكة ومنعة، يُلبّسون على

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا ح(١٠١٠).
(٢) أخرجه أبو داود في سننه، ح(١٤٩٨)، والترمذي ح(٣٥٦٢)، وابن ماجه ح(٢٨٩٤)، وأحمد ح(١٩٥)، تعليق الشيخ الألباني: ضعيف.

الناس دينهم، ويخفون عنهم معالم التوحيد الذي أمر الله ﷻ به، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [سورة الأنعام:١١٢].

وقد بين الله ﷻ في كتابه **أن الوحي وحيان:**

١- **وحي رباني:** وهو الذي يأتي به جبريل من عند الله ﷻ، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [سورة الشعراء:١٩٣]، وهذا قد انقطع وتوقف بموت النبي ﷺ، وبقي في الناس الكتاب والسنة ما إن تمسكوا بهما لن يضلوا أبداً.

٢- **وحي شيطاني:** قال تعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [سورة الأنعام:١١٢]، فهذا لا ينقطع ولا يتوقف، فإن الله ﷻ قد جعل لعباده المؤمنين الموحدين أعداء يُبيّن الله ﷻ من خلالهم صدق إيمان الموحدين وأتباع دين الله ﷻ الحنيف.

وألف الشيخ محمد بن عبد الوهاب ﷺ هذه الرسالة بلغة متقدمة قد يخفى كثير من معالمها على طلاب العلم، لأن المؤلف ألفها لجملة من الفقهاء من علماء ذلك الزمان الذين كانت لديهم معاندة ومصارمة للحق ومشاقه لله ورسوله، إذ أن الله ﷻ أراد إرادة شرعية أن يكون الدين كله لله، وبعضهم يريد أن يكون شيئاً لله وشيء لغير الله، وهذا من أعظم الإلحاد في دين الله.

وقد جمع شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ﷺ عصارة علمه وفهمه فيما يتعلق بتوحيد العبادة في هذا المتن النفيس. وهذا المتن قد حَشَدَ فيه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب من شبه المعاندين والمناوئين لدعوة التوحيد، ورد عليها رداً إتبع فيه الكتاب والسنة، فقام بالرد على الشبه جملة، ثم بعد ذلك قام بالرد عليها تفصيلاً، واستند في ذلك على الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وقد شابه في هذا الأسلوب المنهج القرآني؛ فإن القرآن الكريم جاء بالدعوة إلى التوحيد والإيمان المجمل، ثم بعد ذلك جاء بالدعوة إلى الإيمان المفصل، وهذا أبلغ في التعليم والإقناع والتأسيس الشرعي الصحيح، حيث أن التصور يتبعه الاستدلال، فإذا تصور العبد المسألة ووضحت في ذهنه؛ فإن الدليل يأتي مرسخاً لذلك التصور.

وهذا الكتاب لعظيم شأنه ونفعه بين الناس أصبح كالصاعقة على أهل الزيغ هداهم الله، لأنه جمع جل شبههم ورد عليها جملةً وتفصيلاً، ولم يترك لقائل مقالاً، لذلك اشتد التنفير من هذا الكتاب، وتم إعلان الحرب عليه، وأن فيه تكفير للمسلمين، وهذه عادة أهل الباطل أنهم يجلبون بخيلهم ورجلهم، ويشوشون على كل من يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ولذلك لا عبرة بتشويش الشياطين، فإن الحق أبلج، والباطل لجلج، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

❖ قبل الشروع في شرح كشف الشبهات لابد من تبيين أربعة أمور مهمة:

- **الأمر الأول**: ما هو التوحيد الذي أمر الله باتباعه؟
- **الأمر الثاني**: من هو الموحد؟
- **الأمر الثالث**: ما هو الشرك الذي أمر الله باجتنابه؟
- **الأمر الرابع**: من هم المشركون؟

❖ الأمر الأول: التوحيد.

التوحيد له معنى لغوي: قال ابن فارس ﷺ في معجم مقاييس اللغة: «أن الواو والحاء والدال أصل صحيح في معنى الكلمة» [(١)]، وقال الخليل ابن أحمد الفراهيدي: «أن التوحيد معناه الإفراد والتفرد» [(٢)]، وقال الزجاج: «التوحيد معناه الواحد الذي ليس له ثاني» [(٣)].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٣/٤٣٠).

(٢) قال الخليل الواحد: المنفرد.كتاب العين: (٣/ ٢٨٠)، وينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢/ ٥٤٧).

(٣) قال الزجاج: الواحد وضع الكلمة في اللغة إنما هو للشيء الذي ليس باثنين ولا أكثر منهما. تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص: ٥٧).

ولذلك تجد أن اللغة العربية تدور حول تقرير معنى الفردانية، فدل المعنى اللغوي على بطلان دعوى إيجاد إله آخر مع الله ﷻ.

التوحيد في الشرع: التوحيد معناه: إفراد الله ﷻ بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات. ومفردة التوحيد لم يأت التنصيص عليها في القرآن الكريم صراحةً، وإنما جاء التنصيص على أصلها وجذر الكلمة ومصدرها، قال تعالى:

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [سورة البقرة:١٦٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [سورة الإخلاص:١]، وهذه الطريقة في لغة العرب تسمى بالأسلوب الإشاري، وهذا مبحثه في باب البلاغة ومعاني الكلمات، فإن الإشارة إلى المعنى أبلغ من الإشارة إلى المبنى، فإن قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ ليس المراد به المعنى اللغوي فقط، لأن هذا يسمى بنية الكلمة، وإنما أراد الله ﷻ المعنى، وهو: **صرف الألوهية والربوبية والأسماء والصفات لله وحده لا شريك له.**

فإن كثيراً من المشوشين الذين يقولون بأن مفردة التوحيد لا توجد في الكتاب والسنة، فإن زعمهم هذا باطل من عدة وجوه:

الوجه الأول: جهلهم بلغة العرب وأن في لغة العرب الكناية التي تغني عن التصريح.

الأمر الثاني: جهلهم بمعاني القرآن الكريم التي ناقشها أئمة التفسير، ومن أخصهم ومقدمهم شيخ المفسرين أبي جعفر بن جرير الطبري ﷺ، فإنه عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة:١٦٣]، البيان الشافي والجواب الكافي أن المقصود بهذه الآيات وغيرها هو التوحيد [(١)].

(١) انظر: تفسير الطبري (٢/٧٤٥).

الأمر الثالث: جهلهم بتفسير كبار الصحابة للقرآن الكريم، فإن عبد الله بن عباس ﷺ صح عنه أنه قال: «كل أمر جاء في سياق العبادة فإن المراد به التوحيد» [(١)]، كما نقل غير واحد من أئمة التفسير كشيخ المفسرين، والبغوي ﷺ .

وقد أُثر هذا التفسير عن جمع من الصحابة وتواطؤوا على ذلك ولم يحفظ عن أحد من كبار الصحابة أو أواسطهم أو صغارهم أو كبار التابعين أو أواسطهم أو صغارهم ما يخالف ما ذكره ابن عباس ﷺ أجمعين.

وقد يشوش كثير من الناس أن التقسيم الثلاثي للتوحيد لم يأتي ذكره في القرآن، فيقال: إن هذا القول باطل جملةً وتفصيلاً، فإن من أنار الله بصيرته وجد ذلك واضحاً جليًّا في كتاب الله ﷻ، قال الله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ توحيد الربوبية، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ توحيد الأسماء والصفات، ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ توحيد الألوهية، وقال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ۝٦٥﴾ [سورة مريم:٦٥]، وهذا من أوضح معالم القرآن الكريم ولا يخفى إلا على من أعمى الله بصيرته أو من كتب الله عليهم الزيغ، فإن من يدعو إلى توحيد الله ﷻ لا بد أن ينطلق من القرآن ويعود إلى القرآن، ومن أوضح الواضحات في القرآن الكريم الدعوة إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، ونبذ الشركاء والشفعاء والوسطاء والتبرؤ منهم، فإن ذلك هو الدين الصافي والتوحيد الذي دعت إليه جميع الرسل، قال تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣٢﴾ [سورة المؤمنون:٣٢]، ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ۝١٨﴾ [سورة الجن:١٨]، ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٨﴾ [سورة الشعراء:٩٧-٩٨]، ﴿قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ۝٣٠﴾ [سورة الرعد:٣٠]، وهذا هو القسطاس المستقيم، والمنهج القويم والدين الذي ارتضاه الله ﷻ لجميع عباده.

---

(١) انظر: تفسير البغوي (١/١٧١).

وقد جاء ذكر مفردة التوحيد في السنة كما أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث معاذ بن جبل ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله**»[(١)]، فإن أصحاب النبي ﷺ يعلمون معنى مفردة التوحيد، فليسوا كأهل هذا العصر الذين جهلوا المعنى والمبنى إلا ما رحم ربي.

❖ والتوحيد الذي يدعو إليه أهل الطوائف ينقسم إلى أقسام:

القسم الأول: أحسنهم حالاً وهم الذين يدعون إلى التوحيد الذي دعت إليه كفار قريش وهو توحيد الربوبية، وإثبات أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، لكنه غير مستحق للعبادة، فهم وحدوا من جهة، وأبطلوا توحيدهم من الجهة الأخرى. وهذا من حيث الشرع لا يسمى توحيداً، إنما يسمى توحيداً لمناسبة التنزِّل عند الخصومة، كما قال الله تعالى عن عيسى ﷺ عندما خاطب النصارى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [سورة الزخرف:٨١]، وهذا من أنواع تعليق الحال بالمحال، ومن أنواع التحكم والسخرية بالخصم عند المناظرة، لأن ذلك يستحيل شرعاً وعقلاً، ولا يقال بأن من أتى بتوحيد الربوبية ولم يأتي ببقية أنواع التوحيد وأقسام العقيدة أنه موحد.

ومن إعجاز الله في كتابه أنه ذكر مقالة هؤلاء المشركين ليبين أن لهم أتباع وأنصار وأخدان على باطلهم الذي يتبعوه، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [سورة لقمان:٢٥]، وبين الله ﷻ أنهم يفهمون التوحيد فهماً صحيحاً، فقال الله على لسان أحدهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [سورة ص:٥]، ففهم المشركون أن التوحيد معناه التفرد والوحدانية والتبرؤ من ثلاث مائة وستين صنماً حول الكعبة، والتبرؤ من الشفعاء والوسطاء وصرف العبادة كلها لله وحده لا شريك له، فهذا هو فهمهم، وهذه عقيدتهم، وهذا حكم الله عليهم بأنهم مشركين، قال تعالى:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله ﷻ ح(٧٣٧٢).

﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾ [سورة فاطر:١٤].

القسم الثاني: من يدعون إلى إلهٍ يحرفون أسمائه وصفاته، ويأولونها تأويلاً، يحرّفها عن معناها الصحيح مما لا يليق بالله ﷻ، فهم ينفون عن الله جميع صفاته، ولا يثبتون له إلا بعض الصفات، فهم في الحقيقة عبدوا إلهاً آخر، تخيلوه في عقولهم وجعلوه إلهاً عندهم، فهم في الحقيقة يعبدون عدماً، كما أن المشركين يعبدون صنماً، وهذا من شؤم علم الكلام على المسلمين.

القسم الثالث: من يدعون إلى الطواف بالقبور والأضرحة وعبادة الأنبياء والأولياء، ويظنون أن ذلك توحيداً، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾ [سورة يوسف:١٠٦].

❖ الأمر الثاني: من هم الموحدون؟

هم الذين أفردوا الله ﷻ بما يستحقه من أنواع العبادة، كالربوبية والألوهية والأسماء والصفات، واعتقدوا اعتقاداً جازماً أن كل ما هو من جنس العبادة أو سمي دعاء؛ لا يجوز صرفه إلا لله وحده لا شريك له، وذلك لاجتماع العبادة والدعاء كثيراً في الكتاب والسنة، ومن السنة ما أخرج الإمام أحمد في مسنده بإسناد صحيح، والترمذي في سننه وصححه، عن النعمان ابن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»[(١)].

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة البقرة، ح(٢٩٦٩)، والإمام أحمد بن حنبل في مسنده، حديث النعمان بن بشير عن النبي ﷺ، (٤/٢٦٧)، ح(١٨٣٧٨)، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

وقال تعالى: ﴿فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ ۩ ٦٢﴾ [سورة النجم:٦٢]، فالسجود موطن دعاء فجمع الله ما بين موطن الدعاء الشرعي والعبادة، وهذا النوع من السجود لا يصح لغير الله لأنه عبادة محضة لله وحده لا شريك له.

والموحد لا يحرص على شيء حرصه على أن يكون حنيفاً مسلماً لله، والحنيف: هو المقبل على الله والمعرض عن كل ما سواه، فالحنيفية اعتقاد وقول وعمل، قال الله عن أهلها: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ﴾ [سورة الحج:٣١]، وقال الله ﷻ عن إبراهيم عليه السلام ومن سار على طريقه ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧﴾ [سورة آل عمران:٦٧]، وقال الله ﷻ مادحاً لإبراهيم:

﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠﴾ [سورة النحل:١٢٠]، وحذفت النون للتهوين من شأن الشرك وأهله ولتعظيم شأن التوحيد والموحدين.

والحنيفية: اسم لفئة خاصة امتازت بصحة التوحيد وسلامته والبراءة من الشرك ووسائله وذرائعه، والبراءة من المشركين.

والموحد هو: من يحرص على البراءة من التشبه بمن يحادّون الله ورسوله في الأقوال والأعمال والاعتقادات وفي الهيئات، لذلك قال الله عن إبراهيم ﴿وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠﴾ [سورة النحل:١٢٠]، أي مدحه بأنه مجانب لما عليه أهل الشرك. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «**اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم**»: «وقد بعث الله محمداً ﷺ بالحكمة التي هي سنته، وهي الشرعة والمنهاج الذي شرعه له، فكان من هذه الحكمة: أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يباين سبيل المغضوب عليهم والضالين، فأمر بمخالفتهم في الهدي الظاهر – وإن لم يظهر لكثير من الخلق في ذلك مفسدة»[1].

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: (٩٢/١).

بهذه الخصال يمتاز أهل الإيمان عن أهل النفاق، فإن أهل الإيمان تنشرح صدورهم لعبادة الله وحده لا شريك له، قال الله عن نبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [سورة الأنعام:١٦١]، فأخبر الله عن فرح نبيه ﷺ بهذه الحنيفية السمحة، وبهذا التوحيد الصافي الذي هو مراد الله ﷻ ومراد نبيه ﷺ.

والحنفاء لله حقاً يتبعون مقاصد الشريعة في التعامل مع الشرك وأهله، فإن الله أوقع الثواب العظيم والأجر الجزيل على من يخالفون المشركين ويقصدون إغاظتهم ويعلمون أن في ذلك الأجر من الله، قال تعالى: ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ [سورة التوبة:١٢٠]، بمجرد حضور النية تكتب عند الله عمل صالح.

فهنيئاً لمن يحقق هذه الحنيفية السمحة، ويقوم بالتوحيد الصافي الذي دعت إليه جميع الرسل، وهذا لا يقوم به إلا الغرباء الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى، فإن الله تولى غرس التوحيد في قلوبهم وشرح صدورهم لذلك، وزين إليهم الإيمان، وكرَّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان.

ومن صفاتهم أنهم يسارعون إلى الخيرات اعتقاداً منهم أن الأعمال سبب في زيادة الإيمان، وأن تركها سبب في نقص التوحيد.

فأهل الإيمان سارعوا إلى العمل، وأهل النفاق سارعوا إلى الأمل، فشتان ما بين السعيين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [سورة الإسراء:١٩]، وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [سورة الكهف:١١٠].

ومن صفات الموحدين أنهم يحققون عبودية الحب والبغض، فهم يحبون الله بكل قلوبهم ويحبون أولياء الله، ويعتقدون أن تلك المحبة سبب في رضوان الله ﷻ، ويوالون الله ورسوله

حق الموالاة، وينصرون شريعة النبي ﷺ، حتى يستحقوا هذا الوصف: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [سورة الأعراف:١٥٧].

فإن من أعظم معالم الإيمان الدالة على رسوخه في القلب محبة المؤمنين وموالاتهم، قال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [سورة الأنفال:٧٢]، وكيف لا نوالي من والاه الله ﷻ؟ كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [سورة البقرة:٢٥٧].

ومن أعظم شعب الإيمان شعبة المحبة في الله والموالاة في الله والبغض في الله.

أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**والذي نفس محمد بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير**»[(١)].

وقد هجرت هذه المعالم في هذه الأزمنة، كما قال ابن عقيل الحنبلي رحمه الله: «وعامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا»[(٢)].

فإنه لا يكمل لأهل التوحيد توحيدهم، ولا يصح لأهل الإيمان إيمانهم حتى يحبوا في الله، ويوالوا في الله، ويناصروا أولياء الله، ويعتزلوا الشرك وأهله، وهذه الحسكة -الشوكة- التي بقيت في نفوس المنافقين، فأقعدتهم عن ركب الموحدين، فلم يبالي الله في أي أودية الدنيا هلكوا، فإن حزب الله هم المفلحون، وهم الذين والوا الله ورسوله وحققوا البراءة من الشرك فتبرءوا من كل شرك ظاهر في الناس قولاً واعتقاداً وعملاً، قال الله على لسان إمام

(١) متفق عليه.

(٢) وبمثله روى ابن رجب الحنبلي في تفسيره (١/٥٠٤).

الحنفاء عندما أنكر بلسانه شرك هؤلاء المشركين: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة الأنبياء:٥٢]، وحقق براءته من الشرك بتكسير هذه الأصنام كما قال تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾ [سورة الصافات:٩٣].

وقال بعض أهل العلم: «كان لإمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام روغتان، روغة كرم ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الذاريات:٢٦]، ورغوة شجاعة ﴿فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾ [سورة الصافات:٩٣]»، والروغان هو الخروج بخفية، فإن الكريم لا يحادث أضيافه هل أكرمكم أم لا.

والشجاع الحنيفي هو الذي يروغ ويهدم الأصنام ومعالم الشرك، فإنه بذلك قد استكمل الحنيفية ما لم يترتب على ذلك الفعل مفاسد تضر المسلمين، فإن الشريعة الإسلامية جاءت كاملة ومبينة لمصالح العباد في معاشهم ومعادهم.

ومن قواعد الفقه الكبرى: «أن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة»، وقد أخرج البخاري رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة فألزقتها بالأرض وجعلت لها بابين باباً شرقياً وباباً غربياً وزدت فيها ستة أذرع من الحجر فإن قريشاً اقتصرتها حيث بنت الكعبة**»[(١)]، فدل هذا الحديث على أن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة وتأليف الناس وتحبيبهم وكسب قلوبهم إلى الحق أولى من تنفيرهم.

فقد أخرج البخاري في جامعه الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن معاذ بن جبل، رضي الله عنه، كان يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم يأتي قومه فيصلي بهم الصلاة، فقرأ بهم البقرة، قال: فتجوز رجل فصلى صلاة خفيفة، فبلغ ذلك معاذاً، فقال: إنه منافق، فبلغ ذلك الرجل، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! إنا قوم نعمل بأيدينا ونسقي بنواضحنا، وإن معاذاً صلى بنا البارحة فقرأ البقرة فتجوزت، فزعم أني منافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، ح(١٣٣٣).

«**يا معاذ! أفتان أنت – قالها ثلاثاً –** ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾ [سورة الشمس:١]، و﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾ [سورة الأعلى:١]، **ونحوها**»[(١)].

وروى البخاري عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رجل: يا رسول الله! لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان، فما رأيت النبي ﷺ في موعظة أشد غضباً من يومئذ، فقال: «**أيها الناس! إنكم منفرون، فمن صلى بالناس فليخفف، فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة**»[(٢)]، وفي رواية: «**إذا أم أحدكم الناس فليخفف؛ فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريض، فإذا صلى وحده، فليصل كيف شاء**»[(٣)]، فبين أن الأصل في الأعمال عدم مساواة المصالح والمفاسد فيها، بل يجب أن تكون المصلحة أعم من المفسدة، وأن تكون المصلحة هي الغالبة لا المغلوبة، والظاهرة لا الخفية.

❖ الأمر الثالث: الشرك:

الشرك في اللغة: مأخوذ من المشاركة، فالشين والراء والكاف أصل في جذر هذه الكلمة، وعامة كلام اللغويين يدور حول المشاركة.

والشرك في الشرع: مساوات غير الله بالله فيما هو من خصائص الله.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولا أو جاهلا، ح(٦١٠٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الغضب في الموعظة، ح(٩٠).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، ح(٤٦٧).

❖ تاريخ بداية الشرك:

قد بدأ الشرك في قوم نوح ﷺ عندما كان فيهم أناس صالحون محببون إليهم، لما ماتوا أتى الشيطان فقال لهم: صوروا لهم صوراً حتى لا تنسوهم! ثم لما فني هذا الجيل أتى الشيطان وقال لمن بعدهم: مثلوا لهم التماثيل واعبدوهم! فعبدوهم من دون الله ﷻ، فأرسل الله ﷻ نوحاً يدعوهم إلى ترك عبادة ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، وعبادة الله وحده لا شريك له، وأن هؤلاء الأقوام الصالحين صلاحهم لأنفسهم لا ينتفع من صلاحهم أحد، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [سورة الأنعام:١٦٤]، بمفهوم المخالفة عند علماء الأصول: «أن صلاح العبد لا يأخذ أجره غيره»، قال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة النجم:٣٩]، وقال ﷺ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»[(١)]، وبعد ذلك انتشر الشرك في الناس.

وفي هذه القصة التي ذكرها البخاري رحمه الله عن قوم نوح بيان أول معقل من معاقل الشرك وأول فصل من فصول قصة الشرك.

أما **الفصل الثاني** فهو عبادة قوم إبراهيم ﷺ للملائكة وبين الله لهم أن الملائكة لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

ثم بدأ **الفصل الثالث** من فصول الشرك وهو شرك الأصنام الذي نشأ في جزيرة العرب وكانوا لا يعرفونها فأدخلها عليهم أشقى القوم، وهو عمرو بن لحي الخزاعي، حيث إنه ذهب إلى الحبشة ووجدهم يعبدون الأصنام، فقام بإدخال هذه الأوثان إلى جزيرة العرب، وكل من يعبد الأصنام إلى قيام الساعة فهو في ميزان سيئاته.

---

(١) متفق عليه.

ثم جاء **الفصل الرابع** من فصول الشرك عند نشأة الروافض قبحهم الله، حيث أنهم أول من أدخل القبور في المساجد، وكل من يقع منه الشرك في زماننا هذا عند الأضرحة والمساجد؛ فإنه في ميزان سيئاتهم إلى قيام الساعة، وقد نص شيخ الإسلام ﷺ في غير ما موضع من كتبه أن الروافض هم أول من أدخل الأضرحة والقبور في المساجد.

وكل شر في الأمة فهو ناجم عن الرافضة، وكل تحريف للعبادة عن مسماها الصحيح فهو ناشئ عن الرافضة، فإن الروافض شر من وطأ الثرى، وقد بدلوا الدين بالكلية، وحرفوه ونسخوه بكلام أئمتهم وشيوخهم المضلين.

وكل شرك في هذه الدنيا إذا رددته إلى أصله وتاريخه؛ فإنك تجد أنه قد أتى من عند الروافض، فهم يختلفون مع أهل السنة والجماعة في الأصول والفروع.

ويبطلون كتب السنة التي بين أيدينا ويعتمدون كتباً محرفة، ككتاب الكليني «بحار الأنوار»، و«مفاتح الغيب» لنعمة الله الجزائري.

وقد خونوا جبريل ﷺ وقالوا: إنه خان الرسالة، فجبريل مأمور بإنزال الرسالة على علي بن أبي طالب، فذهب وأنزلها على النبي ﷺ، وهذا لا يقول به عاقل فضلاً عن مسلم.

وصلاتهم ليست كصلاتنا وصيامهم ليس كصيامنا. وقد تأثر بالروافض كثيراً الصوفية.

فقلدوهم بتعظيم القبور والأضرحة، وبناء المساجد والمشاهد عليها، وتعظيم المشايخ واعتقاد الولايات المطلقة فيهم، والربوبية المطلقة وأنهم يخلقون ويرزقون من دون الله ﷻ.

وتأثر الصوفية بمدرسة المتكلمين تأثيراً يوازي بل أبلغ من تأثرهم بالروافض، فعطلوا العمل عن مسمى الإيمان، وفصلوا الاعتقاد عن العمل، وأصّلوا لذلك أصولاً، وقعّدوا لذلك قواعد منها:

١- **أن الإيمان كل لا يتجزأ:** وإيمان الأنبياء والرسل مساوٍ لإيمان الفساق والعصاة، وهذا من إبطال نصوص القرآن، فالله تعالى قال:

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة السجدة:١٨]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ [سورة المائدة:١٠٠].

٢- **أن الإيمان لا يضر معه ذنب ولا كفر**: وهذا تبرير صريح لكثير من الشركيات التي يقعون فيها، لأن التقعيد الذي يسيرون عليه عليل، فالعلة مطّردة في جميع أفعالهم.

٣- **أن الإيمان في القلب وأن الجوارح لا علاقة لها بالعمل**: فأبطلوا بذلك ما عليه إجماع الصحابة، وسلف الأمة.

قال الحسن البصري ﷺ قال: «ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال» [(١)]، وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح «**العين تزني وزناها النظر، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه**» [(٢)].

وبهذا التأصيل العليل دخلوا إلى الفقه الإسلامي فملؤوا كتب الفقه بكثير من الأقوال التي مبناها على هذا التقعيد، ولذلك يرون أن من يترك أصلاً من أصول الإسلام وأركانه العظام أنه لا يكفر ولا يخرج من الإسلام، كمن لا يصلي مطلقاً، فإنهم لا يرون كفره لأنه لم يعتقد الكفر، وهذا رد صريح لنصوص الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [سورة التوبة:٧٤]، فنص القران بأن هناك كفر قولي وهناك كفر عملي، وقال الله على لسان إبراهيم ﷺ: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة الأنبياء:٥٢].

ومن هنا لا يكفر عندهم مطلقاً من يطوف بالأضرحة والقبور مع اعتقاده فيها، ومن يسجد لغير الله كما يسجد لله، لأن العمل عندهم ليس من مسمى الإيمان مطلقاً، ولذلك نجد بأن كثيراً منهم يظهر عليهم **علامات الفسق والمعاصي**:

---

(١) مجموع الفتاوى: (٢٩٤/٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة ﷺ، (٣٢٩/٢)، (٨٣٣٨) تعليق شعيب الأرنؤوط: صحيح.

كحلق اللحى، وإسبال الثياب، وسماع المعازف والغنى، وأكل الربا، والجلوس مع النساء الأجنبيات، كل ذلك لأنه يرى أنها لا تؤثر في إيمانه.

فمن عرف هذه الأصول وسبرها عن قرب لا يعجب من كثير من الآراء والمقالات الشاذة، لأنها بنيت على التنظير والاجتهاد مع حضرة الدليل، كما قال تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ [سورة المؤمنون:٧١]، ومن حكمة الله ﷻ وتقديره أن جعلهم أكثر أهل الأرض ليميز الله الخبيث من الطيب، وليبين الله من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة، وليبتلي الله ما في صدوركم، وليخرج الله أضغانكم، فالمسلم الصادق يسأل الله الثبات ولا يعير أحداً، ويبين الحق بدليله ولا يكره أحداً على الحق الذي عنده، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [سورة الكهف:٢٩].

ويعلم تمام العلم أن كثيراً من أبناء هذا الزمان لشدة غربة الدين وخفاء معالمه وندرة الناطقين به؛ لا يُلامون على كثير مما يفعلون لعدم معرفتهم بالحق الصحيح الذي أمر الله ﷻ عباده باتباعه، وليكن ديدن كل موحد أن يبين التوحيد للناس بلطف، قال تعالى على لسان أهل الكهف: ﴿وَلۡيَتَلَطَّفۡ﴾ [سورة الكهف:١٩]، وهي تمثل وسط القرآن ليبين أن أهل الوسطية حقاً هم أهل اللطف بالناس والرحمة بهم، والله قال في كتابه: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [سورة النحل:١٢٥]، والحق واحد لا يتجزأ قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «إن الحق واحد، ولا يخرج عما جاءت به الرسل، وهو الموافق لصريح العقل فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» (١).

وفي ذلك معنى شرعي لطيف أن الله يبتلي عباده لينظر مع من يذهبون وإلى أي سبيل يتجهون، فإن النبي ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**» (٢).

---

(١) منهاج السنة: (٥/١٩٠).

(٢) أخرجه النووي في الأربعين النووية (٤١) وقال: حسن صحيح، وابن أبي عاصم في السنة (١٥)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/٣٦٨) واللفظ لهما، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٢٠٩) باختلاف يسير.

وأهل الإيمان وأهل التوحيد قلة في كل زمان ومكان وعصر، ومعيار الكثرة معيار غير دقيق، فإن الله ﷻ قال: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [سورة الأنعام:١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾ [سورة يوسف:١٠٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ﴾ [سورة ص:٢٤]، فلا يغتر الإنسان بقلة أهل الحق ومعاداة الخلق لهم، ولكن يهتم بالدليل ويتبع آثار السلف، قال ابن مسعود ﷺ: «اعرف الحق تعرف أهله»[(١)].

❖ الأمر الرابع: المشركين:

وهم الذين صرفوا أنواع العبادة لغير الله، فهم طوائف وأنواع وأشكال، **فمنهم من صرف الربوبية** لغير الله كالملاحدة وما يتفرع منهم كالقدرية والدهرية والطبائعيون الذين يقولون إن الطبيعة هي التي تخلق نفسها.

و**قسم يشركون في الألوهية**: وهذا النوع هو أكثر أنواع الشرك في هذه الأمة، فمنهم من أشرك مطلقاً ككفار قريش، ومنهم من أشرك في عبادة من العبادات وشركه فيها كشركه في سائر العبادات، كطلب الشفعاء والوسطاء والأنداد، ومن يقعون في هذا الشرك طوائف متعددة كالرافضة والصوفية.

و**القسم الثالث: من يشركون في الأسماء والصفات**، وقد تخصص في هذا الباب أصحاب العقائد الكلامية، حيث أنهم أدخلوا عقولهم في باب غيبي لا محل للعقل فيه مطلقاً، فالله غيب، وصفاته غيب، والطريق الموصل إلى الغيب هو النصوص الشرعية، ولذلك في باب الأسماء والصفات نص أهل السنة والجماعة أننا نقرّها ونمرّها كما جاءت

(١) وبمثله روي عن علي ﷺ أنساب الأشراف للبلاذري (٢/٢٣٩).

من غير تحريف ولا تأويل، ولا تكييف ولا تعطيل، على حد ما جاء في التنزيل، وقد نص العلماء ﷺ على أنه لا يعلم كيف هو إلا هو، قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص:٤]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [سورة النحل:٧٤]، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [سورة مريم:٦٥].

ومن صفات المشركين أنهم -ينفرون- من إخلاص العبادة لله ﷻ، وأنه لا بد من جعل شركاء مع الله، وهذه نفس مقالة كفار قريش كما قال تعالى على لسانهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [سورة ص:٥].

ومن صفات المشركين أنهم يبغضون ذكر التوحيد وأهله، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ [سورة الزمر:٤٥]، لذلك هذا القرآن عجيب، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [سورة الأنعام:٣٨]، وفي الآية السابقة تلخيص لمشكلة المشركين.

❖ رسالة كشف الشبهات:

ألفها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ﷺ تبييناً للناقض الثاني من نواقض الإسلام «من جعل بينه وبين الله وسائط»، وأكثر أهل العلم على تسميته «بكشف الشبهات»، وقد أثر عن أحد أحفاده تسميتها «بكشف الشبهة»، والكشف: هو الرفع، والشبهات: جمع شبهة، وهو الأمر المتردد ما بين الحق والباطل وفيه خفاء، وتسمية الشبهة بذلك تسمية شرعية، فقد أخرج البخاري ومسلم ﷺ عن النعمان بن بشير ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات -أو مشبّهات-**»[(١)]، والأصل في الشبه العقدية حرمة ذكرها وطرحها بين الناس، وهذا أمرمتفق عليه، فقد أخرج النسائي بإسناد جيد في قصة عمر بن الخطاب ﷺ أنه وجد قطعة من التوراة صحيحة فرأها النبي ﷺ في يده فغضب وقال:

---

(١) أخرجه البخاري ح(٥٢)، ومسلم ح(١٥٩٩).

«**امتهوك بها يا ابن الخطاب؟...**» [(١)]، فدل هذا الخبر على أن الأصل في الشبهات العقدية: الحرمة والمنع حتى على العلماء الراسخين، فإنه لا يوجد أحد أعلم بالحق من عمر ﷺ، ولا أرسخ في دين الله من عمر، مع ذلك غضب منه النبي ﷺ عندما قرأ قطعة من التوراة مع أنها صحيحة.

والشبه خطافه، من استشرف إليها؛ استشرفت إليه -أي جذبته-، «وعن ابن سيرين: أن رجلاً أتاه فسأله عن القدر، فقال ابن سيرين:

«﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾[سورة النحل:٩٠]، فأعاد عليه الكلام، فوضع محمد يديه في أذنيه، قال: «ليخرجن عني، أو لأخرجن عنه»، قال: فخرج الرجل، فقال محمد: «إن قلبي ليس بيدي، وإني لا آمن من أن يبعث في قلبي شيئاً لا أقدر أن أخرجه منه، وكان أحب إلي ألا أسمع كلامه أصلاً»» [(٢)].

والشبه العقدية لا تذكر بالتفصيل لعامة الناس من باب الرد عليها، لأن ذلك ليس من العقل والحكمة، فإن الرد على الشبه بطريقة ضعيفة يذكيها ويزيدها قوة، وعن عمر ﷺ قال: «إنَّ للَّه عبادًا يميتون الباطل بِهَجره، ويُحيون الحق بذكره» [(٣)]، وقد يكون الرد بشدة مع صاحب الشبهة نوع من أنواع علاجها، جاء صُبَيغٌ التَّميميُّ إلى عمرَ بنِ الخطَّابِ فقال: يا أميرَ المؤمنين أخبِرني عن ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ١﴾ [سورة الذاريات:١]، قال: «هي الرِّياحُ»، ولولا أنِّي سمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُه ما قلتُه، قال: فأخبِرني عن ﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ٢﴾ [سورة الذاريات:٢]، قال: «هي السَّحابُ» ولولا أنِّي سمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُه ما قلته، قال: فأخبِرْني عن ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرٗا ٤﴾ [سورة الذاريات:٤]، قال:

---

(١) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (٨٩)، وأبو عبيد في غريب الحديث (٢٩/٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٧٨).

(٢)أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى ط الراية (ج٢/ص٤٧٣).

(٣) أبو نعيم في الحلية (١/ ٥٥).

«هي الملائكةُ» ولولا أنّي سمِعتُ رسول الله ﷺ يقولُه ما قلته قال: فأخبِرْني عن ﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝٣﴾ [سورة الذاريات:٣]، قال: «هي السُّفنُ» ولولا أنّي سمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُه ما قلته، ثمَّ أمر به فضُرِب مائةً وجُعِل في بيتٍ، فلمَّا برَأ دعا به فضربه مائةً أخرَى وحمله على قتَبٍ وكتب إلى أبي موسَى الأشعريّ: امنعِ النَّاسَ من مجالستِه، فلم يزلْ كذلك حتَّى أتَى أبا موسَى فحلف له بالأيمانِ المُغلَّظةِ ما يجِدُ في نفسِه ممَّا كان يجِدُ شيئًا، فكتب في ذلك إلى عمرَ، فكتب عمرُ: ما إخالُه إلَّا قد صدق فخَلِّ بينه وبين مجالسةِ النَّاسِ (١).

– تم والحمد لله –

(١) مسند الفاروق لابن كثير ت إمام (٢/٥٨٤).

مسائل الباب تدور حول خمسة شبه ١
التبرك ينقسم إلى قسمين.....٢
الوحي وحيان.....٣
الوحي رباني.....٣
الوحي الشيطاني.....٣
قبل الشروع في شرح كشف الشبهات لا بد من تبيين أربعة أمور مهمة.....٤
الأمر الأول: التوحيد.....٤
التوحيد في اللغة.....٤
التوحيد في الشرع.....٥
الرد على من يقول بأن مفردة التوحيد لم تذكر في الكتاب والسنة.....٥
التوحيد الذي يدعو إليه أهل الطوائف ينقسم إلى أقسام.....٧
القسم الأول.....٧
القسم الثاني.....٨
القسم الثالث.....٨
الأمر الثاني: من هم الموحدون؟.....٨
الحنيفية.....٩
صفات الموحدين.....١٠
الأمر الثالث: الشرك.....١٣
الشرك في الشرع.....١٣

تاريخ بدء الشرك.....١٤
الفصل الثاني.....١٤
الفصل الثالث.....١٤
الفصل الرابع.....١٥
الأمر الرابع: المشركين.....١٨
صفات المشركين.....١٩
رسالة كشف الشبهات.....١٩
فهرس الموضوعات.....٢١